ما من شك في أن الانقاذ ، كجزء من المواجهة العربية في عام ١٩٤٨ ، قد فشل في تحقيق الهدف الذي تشكل من أجله ، وهو الحيلولة دون قيام اسرائيل . اما اسباب هذا الفشل فيرى المقدم شقير ان « أهمها (١) عدد المقاتلين اليهود كان اكبر دائما من العرب ، اذ كانوا يجمعون دائما على كل جبهة يهاجمونها قوات اكبر من القوات العربية (٢) لديهم قيادة واحدة مقابل قيادات عربية لا تنسيق بينها ... وفي حالة الانقاذ لم يقم تنسيق مع الجيش السوري (٣) تسليح اليهود بعد الهدنة الثانية كان متفوقا على التسليح العربي (٤) لدى اليهود ايمان واقدام وتنظيم ... »(١٤٨).

أما عن رأي العدو في أسباب هزائمنا فان ايغال الون يعتقد « ان الطاقة العسكرية تعتمد على خمسة عوامل رئيسية هي: ١ ــ قوتها البشرية ٢ ــ موقعها الجغرافي الاستراتيجي ٣ ــ مواردها الاقتصادية ٤ ــ وضعها السياسي ومكانتها في المسرح الدولي ٥ ــ نظامها الاجتماعي والسياسي . وعند مراجعة حقائق وأرقام الوضع القائم في الوقت الحاضر فانها تؤكد بوضوح بأن الاقطار العربية تتفوق بشكل قاطع في العوامل الاربعة الاولى ، في حين ان باستطاعة اسرائيل أن تزعم التفوق في عامل واحد فقط هو : نوع وطبيعة تكوينها الاجتماعي ونظام الحكم والقيم فيها ... »(١٤٩). ويعيد آلون تأكيد هذه النقطة حيث يضيف : « لقد كان العامل الوحيد للطاقة العسكرية الذي تفوقت فيه اسرائيل على أعدائها ، من دون شك ، هو نظامها الاجتماعي . فحقيقة كونها ديمقراطية سياسية واجتماعية وسط انظمة قبلية متخلفة اوتوقراطية او دكتاتورية كانت في حد ذاتها ميزة لصالحها ، وبتأثيراتها توازنت ، بل وفي بعض الاحيان رجحت على جميع العوامل الاخرى مجتمعة »(١٥٠). ويعيد آلون هذا التأكيد في مكان آخر ليشير ان الحرب مع العرب « ليست بين جيشين وأمتين بل كانت صداما بين نظامين اجتماعيين وسياسيين متصارعين ... وبالاضافة ليست هناك حتى الان وحدة عربية ، فالدول العربية لم تستطيع حتى الان ان تعمل مجتمعة وموحدة الصف ... »(١٥١).

●

في تقديري ان الانقاذ رغم الدور الهام الذي لعبه ما كان ليستطيع أن يحصل على نتائج أفضل في نوعيتها في ظل تلك الظروف الاجتماعية والسياسية القائمة يومذاك . كيف كان الانقاذ يستطيع ان يقاتل وينتصر والانظمة القائمة كانت بطبيعة تكوينها تخشى القتال الجاد لانه ينشط حركة التقدم الاجتماعي ويحرك الجماهير وكانت على تلك العلاقة العضوية بالاستعمار ؟ كيف كان الانقاذ يستطيع أن يقاتل وليس في فلسطين وحدة وطنية بل هناك صراعات وتناقضات عميقة محلية وعربية ؟ وهل كان القاوقجي يستطيع انيحقق شيئا جديا والوضع في الاردن على ما كان عليه رغم ايمان قائد الانقاذ العميق « بوجوب الاستفادة من شرق الاردن كقاعدة للحركات في فلسطين اذ كانت هذه هي فكرته القديمة التي أبداها في عام ١٩٢٩ ؟ »(١٥٢).

ان الامر الاساسي هو ما ذهب اليه شوكت شقير ولمسه لمسا خفيفا حين قال في تفسير اسباب هزيمتنا : « لدى اليهود ايمان واقدام وتنظيم » ، وهذا الرأي يلتقي في جوهره مع تشخيص ايغال آلون حين أكد على الاهمية الحاسمة لطبيعة النظام الاجتماعي والسياسي . ذلك ان ما يفتقده الانقاذ في الماضي وما يحتاجه كفاحنا الراهن هو توفر تلك القيادة القادرة على رسم البرنامج السياسي لثورتنا المعادية للامبريالية والصهيونية مع الوسائل القادرة على بناء جبهة وطنية تجند كافة القوى والطبقات الشعبية العازمة على الكفاح المسلح ناظرة اليه من زاوية تاريخية تقوم على اساس ان الشعوب التي تقاتل من أجل مصيرها وأوطانها لا تضع في الميزان مسألة الربح والخسارة ، اذ ان مثل هذه الحسابات هي سياسة الغزاة ومواقف المعتدين وحساباتهم ، انما تنظر الى الكفاح المسلح والنضال الدامي من الزاوية التي وقف عندها قادة فيتنام السياسيون